

رحلة بول ريفر في منتصف الليل، 1931

على الرغم من أنه قد تم تدريب وود ليصبح فناناً، فإن وود كان رساماً «بالفطرة» مدرّكاً لذاته حيث نafs الأسلوب البسيط الذي لا يستند لأسس علمية الذي انتهجه الفنانون الشعبيون الأمريكيون. قام هذا المنهج الواضح في العمل الفني برفض وجود أي تفصيل أو حيلة قد تحوّل الانتباه عن الموضوع الرئيسي. ذهبت لوحة «رحلة بول ريفر في منتصف الليل» إلى مدى أبعد لجذب الانتباه إلى وجهة نظر طفل. أتاح لنا مشهد نظرة الطائر (مثل المشهد الذي نراه من طائرة) فحص مدى شاسع من الريف وأعطى قرية نيو إنجلاند الوضوح المنظم لمدينة مصنوعة من ألعاب: تميزت كنيسة القرية والمنازل المحيطة بها بتصميمها الهندسي البسيط، كما كانت الأشجار متوجة بأشكال كروية خضراء، كما لو كانت مكونة من مباني سكنية متجاورة، مثل تلك الأشكال التي يحاول أي طفل رسمها. لم يرق وود بأي محاولة لتعديل اللوحة بحيث تكون ملائمة لهذه الحقبة التاريخية—فنوافذ المنازل، على سبيل المثال، شديدة التوهج لدرجة يصعب فيها تخيل أن هذا التوهج سببه ضوء الشموع—أو تقديم تفسير علمي دقيق لما يلي: يكون ضوء القمر الذي يضيء المشهد الأمامي متألقاً بصورة خارقة للطبيعة، كما توجد ظلال طويلة وعميقة على الطريق مثل أضواء مسلطة على حدث رئيسي. أما المنظر الطبيعي المتنايل في الورا فقد تم تركه نائماً في ظلام لم يغيره سوى وجود أشعة ضوئية ضعيفة مصدرها نوافذ بعيدة. ولاستكمال هذا الاستدعاء لحلم الطفولة، قام وود بصورة غريبة برسم الجواد الأمين الذي يمتطيه ريفر—طائر شجاع وسريع،» وفي كلمات قصيدة لونجفلو—كحصان خشبي هزاز.

أشارت وندا كورن إلى أن بعض الأشخاص الذين رأوا هذا الرسم المازح افترضوا أن وود كان يسخر من أسطورة أمريكية محبوبة، بينما كان هدفه الحقيقي عكس ذلك تماماً لقد كان هدفه، كما قال، هو إنقاذ تلك «الأعداد المحدودة من القصص الشعبية الأمريكية الجيدة التي يجب عدم فقدها.» كانت نزعة المحافظ هذه جزءاً من مخطط أكبر لصياغة هوية وطنية، والتي اعتقد أنه يمكن إنشاؤها من خلال الفن بجانب التاريخ. كان إيمان وود بهذه الفكرة مدعوماً بقدّم الأسطورة المحفوظة في سطور لونجفلو:

عبر كل تاريخنا، من البداية إلى النهاية،
في ساعة الظلام والخطر والاحتياج،
سوف يستيقظ الناس وينصتون لسماح
الضربات المتسارعة لحافر ذلك الجواد،
ورسالة بول ريفر في منتصف الليل.

قام وود بمهمة ملحة بشكل كبير أثناء الاكتتاب العظيم، عند رسم «رحلة بول ريفر في منتصف الليل». كانت صورة الولايات المتحدة كأمة فتية مفعمة بالحياة قد بدأت في فقدان بريقها، وفي الوقت نفسه، كان الفن الأمريكي يفقد مجموعة التقاليد المرتبطة بالحياة العادية حيث كان الفنانون الصغار يتبادلون موضوعاتهم وتقاليدهم الإقليمية؛ لتحقيق مزيد من الانتشار، كما انبثقت على نطاق واسع الطرز التجريدية الآتية من باريس ونيويورك. كافح جرانت وود في مواجهة ذلك التيار، حيث ظل متمسكاً بحلمه المتمثل في فن أمريكي حقيقي يربط الحاضر بالماضي ويحافظ على جميع القصص التي تشكل الموروث الأمريكي.

في «رحلة بول ريفر في منتصف الليل»، قام الرسام جرانت وود المقيم في المنقطة الغربية الوسطى بإلقاء سحر فائن على القصة الأمريكية المعروفة. ومثلما يسرد العالم وندا كورن، تم أسر خيال وود عندما كان طفلاً بالحكاية التي تقص رحلة ريفر في منتصف الليل من بوسطن إلى ليكسنجتون (موقع المناوشة المفتوحة للحرب الثورية) وذلك لتحذير الوطنيين من التقدم البريطاني. يمكن أن تكون التفاصيل الدقيقة لهذا الحدث التاريخي غامضة، أو ربما غير معروفة، لوود بعد، مثلما هو الحال لمعظم الأمريكيين الذين عاصروهم، فقد علم وود الأسطورة من خلال قصيدة ألفها هنري وادزورث لونجفلو، والتي تم نشرها في عام 1863:

أنصتوا، يا أطفال، وسوف تسمعون
في رحلة بول ريفر في منتصف الليل،
في الثامن عشر من إبريل في عام خمسة وسبعين؛
نادراً ما يوجد إنسان على قيد الحياة الآن
يتذكر ذلك اليوم المشهور وسنة حدوثه.

كان وود مفتوناً بالفكرة العامة السائدة عن بطل قومي يحمل أخباراً عاجلة، ويرفع حالة التأهب، ويخلّد ذكره نتيجة لذلك. أحب وود تخيل نفسه مشاركاً في تنفيذ مهمة شبيهة لتلك في ولاية أيوا التي يقيم فيها، حيث يعدو بسرعة من مزرعة لأخرى لتحذير جيرانه من إعصار وشيك الحدوث—«حيث يتم مدحه بشكل كبير بعد انتهاء الإعصار و نجا جميع الأشخاص.» لم يتسنى مطلقاً لوود أن يصبح بطلاً من هذا الطراز، لكنه حقق لنفسه الخلود من خلال عمله الفني الشهير «القوط الأمريكيون (1930)» والذي تم رسمه قبل عام واحد من إكمال العمل الفني «رحلة في منتصف الليل» والذي يمجّد زوجين ريفيين يتميزان بالبساطة ويعيشان في مزرعة عادية في ولاية أيوا.



3-جرانت وود (1892-1942)، رحلة بول ريفر في منتصف الليل، 1931. لوحة زيتية على الماسونيت، 30 × 40 بوصة (76.2 × 101.6 سم). متحف المتروبوليتان للفنون، صندوق آرثر هوبيك هيرن، 1950 (50.117). حقوق طبع الصورة لعام 1988 محفوظة لصالح متحف المتروبوليتان للفنون. حق طبع الأعمال الفنية محفوظة لصالح ممتلكات جرانت وود / الخاصة على ترخيص من جمعية الفنون البصرية وصلات العرض الفنية، نيويورك.

صف وحلّل

إ م ث

اجعل كل تلميذ يقوم بكتابة قائمة تحتوي على خمسة أشياء مختلفة على الأقل رآها في الرسم. اترك التلاميذ يوضحون ما رأوه لزملائهم.

إ م ث

اجعل التلاميذ يحددون موقع بول ريفر وهو راكب على حصانه. سل التلاميذ عن المكان الذي يبدو ذاهبًا إليه والمكان القادم منه.

إ م ث

كيف أوضح الفنان أن ريفر في مهمة طارئة؟
إنه يميل بجسده للأمام كما يتمدد ذيل وأقدام حصانه في عدو سريع.

إ م ث

اجعل التلاميذ ينظرون إلى الرسم وأعينهم منحرفة. ما الذي يرونه للوهلة الأولى؟ ربما سيروا الكنيسة.
كيف أكد الفنان على دور الكنيسة؟ إنها كبيرة ويتباين سطوع الضوء بها مع الخلفية المظلمة.

م ا ث

اجعل التلاميذ يوضحون كيفية قيام وود بتوجيههم عبر القصة الموضحة في هذه الصورة. اجعل التلاميذ يتبعون الطريق من خلال المشهد الذي يبدأ من الأضواء البعيدة أعلى يمين الصورة.

فسّر

إ م

شجع التلاميذ على تخمين الفترة الزمنية من الليل الموضحة في هذه الصورة. ما هي المفاتيح التي منحنا إياها وود؟ تشير السماء المظلمة، الظلال العميقة، ألوان الخلفية الصامتة، الأضواء الظاهرة في المنازل، والأشخاص المردين لملابس ليلية بيضاء أن الصورة تعبر عن وقت متأخر من الليل.

إ م

سل التلاميذ عن أكبر مصدر للضوء في هذا المشهد. من المحتمل أنهم سيقولون «القمر»
ما هو مكان وجود القمر في السماء؟ إن موقعه إلى اليمين قليلاً.
لماذا يعتقد التلاميذ هذا الاعتقاد؟ لأن الظلال موجودة على يسار الأشياء.

إ م ث

سل التلاميذ عما إذا كانوا قد رأوا ضوء القمر بمثل هذا السطوع. هل يبدو طبيعيًا؟ ما هو السبب وراء الرد بالإيجاب أو النفي؟ ما هو الضوء الآخر الموضح في هذا الرسم الذي يبدو غير عادي لقرية في القرن الثامن عشر؟
تكون أضواء المنازل ساطعة بشكل كبير بدرجة يصعب أن تكون أضواء شموع، وتبدو أكثر شبيهًا بأضواء المصابيح الكهربائية التي لم تكن قد تم اختراعها في هذه الفترة.

إ م ث

شجع التلاميذ على تخمين نوعية بعض المباني. أحد أمثلة المباني هو المبنى الصغير الذي ربما يكون مرحاض خارجي (وقد كان هذا قبل وجود أنابيب مياه داخل المنازل) في مواجهة مبنى مدرسة متوج بقبة.

م ا ث

في حالة قيام التلاميذ بدراسة نيو إنجلاند، فاطلب منهم تحديد مدى تشابه هذا المشهد مع قرية نيو إنجلاند.
الأرض جبلية وبها نهر قرب المدينة. تتجمع المنازل المزودة بمداخن حول كنيسة بيضاء لها برج طويل.

م ا ث

اطلب من التلاميذ تحديد المكان الذي يمكن لشخص الوقوف عليه لرؤية هذا المشهد من هذه الزاوية.
من المحتمل أن يتخذ الشخص وضع وقوف أعلى المدينة، ربما على تل مرتفع أو حتى على مبنى عالٍ.
ناقش ما الذي يلمح إليه وود حول هذا المشهد بواسطة رسمه من هذه الزاوية.
إنه يوحي بأنها قصة بها مشاعر خيالية. إننا ندقق النظر في المشهد كما لو كنا نظير فوقه في الحلم أو كما لو كان المشهد معبرًا عن قرية من الألعاب.

م ا ث

ما هي الأشياء الأخرى التي تجعل هذه القرية غير حقيقية إلى حد بعيد — وأقرب إلى تصميم مسرحي؟
ربما يلاحظ التلاميذ أن الضوء يبدو مثل الأضواء المسلطة على شيء معين. ربما يلاحظ البعض نقص التفاصيل؛ فكل شيء مبسط وتم تصميمه ليبدو مثل قرية متكاملة — حتى أن غالبية الأشجار محاطة بحدود ملساء.

ث

اجعل التلاميذ يوضحون السبب وراء اعتقادهم بأن هذه طريقة مناسبة أو غير مناسبة لتصوير هذه الأسطورة الأمريكية المهمة.

روابط
رالف والدو إيمرسون (المرحلتين المتوسطة، الثانوية)

روابط تاريخية: الحرب الثورية؛ أهمية بوسطن في الأزمنة الاستعمارية والثورية

روابط أدبية ومستندات رئيسية: «رحلة بول ريفر»، هنري وادزورث لونجفلو (المرحلة الابتدائية؛ رحلة تنش تلغان، «كلنتون سكولارد (المرحلتين المتوسطة، الثانوية)؛ «تريلة التوافق»

روابط تاريخية: بول ريفر؛ الملك جورج الثالث؛ باتريك هنري؛ جون أدامز؛ صامويل أدامز

الفنون: المنظور؛ الإقليمية